حركة الكشف

للكشاف أحمد الشرباصي جمعة الشرباصي

بين يدىَّ الآن هذا الكتيِّب الصغير ، دفعه إلىَّ رسول من مؤلفه يرجوني أن أنظر فيه وأكتب عنه ، وأنا رجل عِفتُ الكتابة عن المؤلفين والكتب من زمان ؛ فما بى طاقة على أن أظلم نفسى فأقول للسيء أسأت فأتعرض لغضبه أو عتبه ، وما لى طاقة على أن أغش قرائى فأقول عن الرديء إنه حسن وما فيه إلا حسن العاقبة لنفسى ...

ولكن ما بال هذا الكتاب يدعونى إليه فأفرغ له ، فلا أدعه حتى أتمه ، ولا أتمه حتى أهم بالكتابة عنه ، ولا أهم بالكتابة حتى تتثال علىَّ المعانى انتثالا ويمضى بي الفكر إلى غايته ؟

لا ، لم يكن هو الكتاب ما دعانى إلى ذلك بما فيه ولكن بما حوله ، وليست هى مادته ولكن مؤلفه وظروفه : هذا فتى أزهرى يطل عليك وجهه فى الصفحة الأولى من الكتاب ، بعمامته الصغيرة ، وجبته المزرورة ، وبنيقته المراغية البيضاء ... وما كنتَ تتوقع هذا ولا شك ، وأحسبك ستدهش دهشتى حين تقرأ هذا فتسأل نفسك : ما لهذا الفتى الشيخ ؟ وما جاء به إلى هنا ؟ وستفكر في كل جواب لسؤالك إلا أن يكون هذا الشيخ الصغير هو مؤلف الكتاب ...

إي وربى إنه هو مؤلفه ، وإنه هو هو أحمد الشربينى جمعة الشرباصي الكشاف ، بعمامته الصغيرة ، وجبته المزرورة ، وبنيقته البيضاء ... كشاف أزهرى بعمامة ! لوددت والله بما تشاء من ثمن أن أرى هذا الكشاف الشيخ فى ملابس الميدان ، لأرى كيف يستر ركبتيه العاريتين فى سراويله القصير وعلى رأسه عمامته وعلى ظهره راويته وسفرته ...

ها هو ذا أزهرى فتى يضرب المثل لإخوانه الأزهريين فى الفتوة الرحيمة التى تعمل للإنسانية . يا له من فتى متمرِّد ! لا ، لا تسموه متمرداً ، إنه فتى يعرف ما عليه من تبعات الرجولة فى غد فأعدّ للغد عدته ، فلا عليه إن كان هو وحده الفتى الكشاف في الأزهر الكبير وروافده . إننى لفخور به

ليت شعرى ، هذه فرق الكشافة تنتظم تلاميذ المدارس عامة فلماذا لا نرى فى الأزهريين فرقة كشافة ؟ أترى تلاميذ المدارس المُدن الصغار أقدر على خشونة الكشافة من شباب الأزهر ، أم يرون الفتوة عاراً لا تليق برجال الدين ... ؟ إنهم لأصح جسما وأوفر نشاطاً وأقدر على مشقات الكشف والرحلة من هؤلاء الصغار ، وإنهم ليعلمون علم اليقين أن دينهم هو دين البساطة التى يؤثرها الكشاف ، ودين القوة التى يدعو لها الكشاف ، ودين النجدة التى يعدّ لها نفسه الكشاف ، فأين هى فرق الكشافة في الأزهر وروافده ؟

إن لدى لكلاماً كثيراً أخشى أن أقوله فيغضب من لا أريد أن يغضب ، فحسبى ما قدّمت من قول وحسب الأزهريين ، وليس حسبهم أن يكون فيهم كشاف واحد يشعر بوجود نفسه هو هذا الكشاف !

وبعد فهذه خواطر من وحى هذا الكتاب فى نفسى ، وما أريد أن أعرّف عنه بأكثر من ذاك ؛ ولكنه كتاب نافع على كل حال : نافع للأزهريين عامة ليعرفوا به عن الكشافة ما قد يحببهم فيها فيكونون جنودها ، ونافع للكشافين عامة ليبصرهم بكثير مما قد يغيب عنهم من واجبات الكشاف ، ونافع لمعلّمى فرق الكشافة فى مختلف المدارس لعلهم يجدون فيه مادة يدرسونها ، ونافع لكل قارىء لأن فيه أبواباً من العلم والتاريخ والتسلية تلذ كل قارئ ؛ وقد نفعني أنا أيضاً لأنه نبهنى إلى ما قدمت من قول عن الرياضة والكشف والرحلات فى برنامج دراسة الأزهريين . أترى مؤلفه قد انتفع به كما انتفع كل هؤلاء ؟

بارك الله فى هذا الكشاف البطل ونفع به

(س)

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧